نظرية الفعل الإنساني: أبي نصر الفارابي أنموذجًا

تمهيد:

لطالما شكّل الفعل الإنساني لب اهتمام الفلاسفة والعلماء والمفكرين، في الشرق والغرب على حد سواء، وذلك لأهمية الفعل الإنساني في بناء المُجتمعات والحضارات، ولم يغفل أبي نصر الفارابي* عن هذه الفكرة المهمة؛ فسعى جاهدًا لوضع أسس متينة لنظرية الفعل الإنساني، مُستلهمًا ذلك من النبع الرقراق للحضارة العربية الإسلامية يومئذ، وتعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع؛ لكوننا نعيشُ في زماننا هذا تغولاً فادحًا للفلسفة الوضعية

* أبي نصر الفارابي: ولد في واسج في مقاطعة فاراب بتركستان، درس المنطق والفلسفة والنحو والصرف والعلوم والرياضيات والموسيقى، توفي عن عمر يناهز الثمانين عامًا بدمشق في 339هـ/950م، لقب بالمعلم الثاني، ومن أهم مؤلفاته: رسالة في آراء أهل المدينة الفاضلة. انظر: جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**. (بيروت لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر. 2006). ص ص 449 – 450.

بأطروحاتها المُختزلة للفعل الإنساني في جوانبه المادية، ونهدف من خلال ورقتنا البحثية هذه؛ لتأكيد أهمية العودة لمعين الفلسفة العربية الإسلامية، مُمثلة في أعلامها الكبار أمثال أبي نصر الفارابي، للتأسيس لدراسات جديدة في نظرية الفعل الإنساني، وهو ما دفعنا إلى طرح التساؤل التالي: كيف يمكن الوصول إلى فعالية إنسانية ناجعة حسب الفارابي؟

1- مفهوم نظرية الفعل الإنساني:

يقتضي منا الوقوف على مقاربة مفهومية لنظرية الفعل الإنساني؛ تفكيك هذه الجملة "نظرية الفعل الإنساني"، حتى يتناغم المُصطلحين: "النظرية" و"الفعل الإنساني" في سيمفونية واحدة معاً؛ فالنظرية تُعرّف بكونها:« **قواعد ومبادئ تُستخدم لوصفِ شيء ما، سواء أكان علميًا، أم فلسفيًا، أم معرفيًا... وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تساهمُ في بناءِ فكر جديد**»[1]، واستُخدم مفهوم النظرية في الفلسفة اليونانية؛ للتعبير على مجموعة من الدراسات والأفكار والتي صاغوها وفق مجموعة من القواعد والمبادئ، وكمثال على ذلك نظرية نشأة الكون، والتي تقدم الدعم لآرائهم الفلسفية[2].

أما الفعل إنساني، فلأن « **الفعل فعلا عَيْنِيا وخُلقيا، فهو عَيني لأنه يظهر معنى وجودي لكينونة الإنسان من حيث هو فاعل، ويدل الفعل على أنه موجود وجود تعيّن في الوجود المُعيّن الذي يرمز له بهناك، ويصبح الفاعل (الإنسان) هو الذي يرمز له بهنا (أنا)، ومن خلال المقابلة بين الهنا والهناك تتبلور علاقة تشاركية بين الفاعل وموضوع الفعل**»[3].

---

[1] مجد خضر، **مفهوم النظرية لغة واصطلاحًا – موضوع.** [تم الاطلاع عليه يوم 20 نوفمبر 2022. 11:03 :AM]. متاح على الرابط : https://mawdoo3.com

[2] المرجع نفسه.

[3] بوعرفة عبد القادر، **الفعل: تأثيل الماهية وتطويع التاريخية – الجزيرة نت.** [تم الاطلاع عليه يوم 20 نوفمبر 2022. 09:57 :AM]. متاح على الرابط: https://www.aljazeera.net

وبناءً على هذا تصبح فلسفة الفعل*، لا تنحصر فيما هو مادي أو سببي بل تتعدى ذلك إلى ما هو مجازي؛ « **فالقول فعل ناقص من حيث هو حركة اللسان فقط أي الصوت، ولكنه فعل كامل من حيث هو تعبير عما فوق حركة الجسد**»[4].

وبهذا يمكن القول أن نظرية الفعل الإنساني؛ هي مجموع القواعد المبادئ المؤسِسة للفعل الخلقي الإنساني، المتجاوز للمعطى المادي وحده.

2- أهمية الفعل الإنساني في الدراسات الإنسانية والاجتماعية:

للفعل الإنساني أهمية كبيرة في الدراسات الإنسانية والاجتماعية؛ وذلك لأن الفعل الإنساني هو محور الدراسات الإنسانية والاجتماعية، وإذا كان للإنسان مكانة كبيرة في الوجود، ولأهمية وجوده وكذا تحقيق غرضه من الحياة وجب عليه أن يكون فاعلاً، وذلك لكي يبلغ أقصى درجة يمكن له أن يحققها من الكمال، وهي في الحقيقة السعادة القصوى[5]، حيث يقول الفارابي:« **وإن كل موجود إنما [كُوِّن] ليبلغ أقصى الكمال الذي له أن يبلغه بحسب رتبته في الوجود الذي يخصه. فالذي للإنسان من هذا هو المخصوص باسم السعادة القصوى وما لإنسان إنسان من ذلك بحسب رتبته في الإنسانية؛ هو السعادة القصوى الذي تخص ذلك الجنس. والجزئي الكائن لأجل هذا الغرض هو الجزئي العادل، والصناعة الجزئية التي غرضها هذا الغرض هي الصناعة الجزئية العادلة والفاضلة.**»[6]،

---

* فلسفة الفعل: يقول العيادي:« إن فلسفة الفعل التي نعني هي صيغة الفكر التي تستجمع صيغة الوجود التامة لكيان الإنسان في العالم». انظر: نقلا عن: لصفر محمد، **فلسفة الفعل مفهومها وتطورها**. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية. ([الجزائر]. المجلد 9. العدد 03. 2021). ص 29.

[4] بوعرفة عبد القادر، **الفعل: تأثيل الماهية وتطويع التاريخية – الجزيرة نت**. [تم الاطلاع عليه يوم 20 نوفمبر 2022. AM: 09:57]. متاح على الرابط: https://www.aljazeera.net

[5] فيصل صلاح الرشيدي، **نظرية الفعل الإنساني في فلسفة الفارابي**. (بحث غير منشور. كلية الآداب والعلوم بزليتن. جامعة المرقب – ليبيا. 2010/2009). ص ص 3 – 4.

[6] أبي نصر الفارابي، **تحصيل السعادة**. قدم له وبوبه وشرحه علي بو ملحم. ط 1. (بيروت–لبنان: دار ومكتبة الهلال. 1995). ص ص 75 – 76.

والمُستخلص من هذا القول للفارابي هو أن وصول الإنسان لكماله وتحقيق سعادته القصوى، والتي هي مطمح كل إنسان إنما هي مشروطة برتبته في الإنسانية، وذلك يكون بترقيه في الفضيلة.

وهذا يُسلمنا للكلام عن دور الأخلاق في تحقيق الفعل الإنساني، حيث يقول الفارابي:« **وفي الأخلاق فإن الأفعال إنما ينبغي أن تقدر كميتها في العدد والمقدار، وكيفيتها في الشدة والضعف بحسب الإضافة إلى الفاعل، والذي إليه الفعل والذي لأجله الفعل وبحسب الوقت وبحسب المكان**»[7]، وهو ما مفاده أن الفاعل أي الإنسان، هو من ينبغي عليه أن يوجه أفعاله نحو الكمال، وذلك بمراعاة الوقت والمكان.

وهنا لفتة راقية من الفارابي في قوله:« **ثم بعد ذلك ينظر في أصناف الأمم أمة أمة، وينظر فيما وطنت له تلك الأمة بالطبع المشترك من الملكات والأفعال الإنسانية، حتى يأتي على النظر في الأمم كلهم أو أكثرهم، وينظر فيما سبيل الأمم كلهم أن يشتركوا فيه وهو الطبيعة الإنسانية التي تعمهم. ثم ما سبيل كل طائفة من كل أمة أن تخص به فيميز هذه كلها وتحصل بالفعل**»[8]، وزبدة هذا القول تتمخض عن فهمنا بأن هناك طبعًا مُشتركًا، لكل أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات؛ وهو مجموع الخصائص والمميزات الإنسانية، والتي يمكن الارتقاء بها لتكون مُشتركًا إنسانيًا عامًا، لمجموع الأمم المُشكلة للإنسانية.

3- أسس ومرتكزات الفعل الإنساني عند الفرابي:

يؤسس الفارابي للفعل الإنساني من خلال منظور إسلامي، فالفعل الإنساني عنده يقوم على التكليف؛ والإنسان المُكلف هو الحُر والعاقل، والذي بمقدوره استنباط الأحكام من مصادر الدين الإسلامي.

---

[7] نقلا عن: فيصل صلاح الرشيدي، **نظرية الفعل الإنساني في فلسفة الفارابي**. ص 5.

[8] أبي نصر الفارابي، **تحصيل السعادة**. ص 78.

وإذا كان الأمر كذلك فإن فكرة الإلزام تعتبر من الشروط المهمة لدراسة الفعل الإنساني، وذلك حتى يصل الإنسان بفعله إلى الأخلاق المحمودة والسلوكيات الطيّبة[9]، ويكون ذلك عن طريق التعليم والتأديب، حيث يقول الفارابي:« **والتعليم هو إيجاد الفضائل النظرية في الأمم والمدن، والتأديب هو طريق إيجاد الفضائل الخلقية والصناعات العملية في الأمم. والتعليم هو بقول فقط، والتأديب هو أن تعوّد الأمم والمدنيون الأفعال الكائنة عن الملكات العملية وبأن تنهض عزائمهم نحو فعلها، وأن تصير تلك وأفعالها مسؤولية على نفوسهم... وإنهاض العزائم نحو فعل الشيء ربما كان بقول وربما كان بفعل**»[10]، وهو ما مفاده أن الفعل الإنساني يُتوصل إليه عن طريق التعليم والتأديب، وتقوم هذه المهمة على كاهل الفيلسوف أو الملك أو حتى الإمام، وأن لا ييأس في مهمته التعليمية والتأديبية الفردية والجماعية، وهو ما يؤكده الفارابي بقوله:« **فالملك أو الإمام هو بماهيته وبصناعته ملك وإمام، سواء وجد من يقبل منه أو لم يجد. أطيع أو لم يُطع، وجد قومًا يعاونونه على غرضه أو لم يجد**»[11].

[9] فيصل صلاح الرشيدي، **نظرية الفعل الإنساني في فلسفة الفارابي**. ص ص 16 – 17.

[10] أبي نصر الفارابي، **تحصيل السعادة**. ص 71.

[11] المصدر نفسه، ص 98.

خاتمة: ليست كالخواتيم...

ومنه يمكن تلخيص ما حاولنا بحثه في نظرية الفعل الإنساني عند الفرابي في هذه النقاط:

– أن نظرية الفعل الإنساني تحمل موضوعًا مُهمًا، ما يجعلها تتصف بالراهنية عبر الأزمان والحقب الفلسفية التاريخية المُختلفة لفلسفة الفعل، في الحضارة العربية الإسلامية.

– أن للفعل الإنساني أهمية كبيرة في الرقي بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، وهو ما يجعلها في السياق العربي الإسلامي تستعيد أو تتبوأ مكانتها الجديرة بها، أمام الدراسات الطبيعية والرياضية والتجريبية.

– أن نظرية الفعل الإنساني تقوم على شرطي التعليم والتأديب، وهنا نجد المكانة البارزة التي أولاها فيلسوفنا الفرابي للحكيم أو الفيلسوف.

توصية: فلم لا نشق دروبًا جديدة بهذه النظرية، في السياق العربي الإسلامي؟!

والله أعلم.

المراجع:

1- أبي نصر الفارابي، **تحصيل السعادة**. قدم له وبوبه وشرحه علي بو ملحم. ط 1. (بيروت–لبنان: دار ومكتبة الهلال. 1995).

2- جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**. (بيروت لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر. 2006).

3- لصفر محمد، **فلسفة الفعل مفهومها وتطورها**. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية. ([الجزائر]. المجلد 9. العدد 03. 2021).

4- فيصل صلاح الرشيدي، **نظرية الفعل الإنساني في فلسفة الفارابي**. (بحث غير منشور. كلية الآداب والعلوم بزليتن. جامعة المرقب – ليبيا. 2010/2009).

5- بوعرفة عبد القادر، **الفعل: تأثيل الماهية وتطويع التاريخية – الجزيرة نت**. [تم الاطلاع عليه يوم 20 نوفمبر 2022. AM: 09:57]. متاح على الرابط: https://www.aljazeera.net

6- مجد خضر، **مفهوم النظرية لغة واصطلاحًا – موضوع**. [تم الاطلاع عليه يوم 20 نوفمبر 2022. AM: 11:03]. متاح على الرابط : https://mawdoo3.com